الحجاج البلاغي في الشعر السياسي
الشاعر احمد مطر انموذجاً

أ.م.د. ساهرة عدنان وهيب العنبكي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية الأساسية
قسم اللغة العربية

الخلاصة :

يسعى الجدل التداولي إلى فهم الأدلة الحجاجية ، وتحليلها ونقدها ، وفرز الأدلة الصائبة أو الضعيفة ، وتصنيف الحوارات ورصد الآلية الجدلية والتوقف عند الحوار النقدي ، إذ تعد البلاغة آلية من آليات الحجاج لاعتمادها على الاستمالة والتأثير والاقناع ، بالصورة البيانية ، والأساليب الجمالية وممارستها الإقناع الفكري ، والشعور النفسي لتقبل القضية الحجاجية في موضوع الخطاب ، إذ يتكون البناء الحجاجي من مفاهيم يختص بها الأديب، والشاعر ، والفيلسوف ، وحجته في ذاته التعبيرية التواصلية مع الآخر ، فيعرف مفاهيمه بحسب اطروحة النص المنتج ، وتحليل تلك العلاقات بين المفاهيم كعلاقات التضاد والتطبيق والتضمين .... الخ . فيتحول النص من تواصلي إلى مفهوم حجاجي ، والهدف منه هو الإقناع الذي يتوصل إليه من خلال الحوار المشترك مع الجماعة ، أو الآخر بالتفاوض أو التحقيق ، أو المداولة ، أو البحث عن المعلومة ، أو المحادثة النقدية وفهم الأدوات المستعملة في بناء الحوار بالتركيز على السياق .

وحظي شعر أحمد مطر في العصر الحديث بعناية كبيرة من الباحثين والدارسين ، نظرا لإبعاده الوظائفية ، وقدرته على استمالة الجمهور (القراء) بالحجاج والبرهان ، والاقناع ، وحتى الاستدلال ، ولما كان الشاعر مقارعا للظلم والاستبداد ، والقهر السياسي ، والاجتماعي ، في عصره ، فمن الممكن رصد الأبعاد التداولية في نصوصه ، واستعماله للغة وما تنجزه من الأفعال الكلامية ، لأنها لغة التواصل والخطاب ضمن سياقات التلفظ ، فالفعل الكلامي عبارة عن إنجاز لأفعال كالأمر ، والاستفهام ، والشكر ، والتهنئة ، والترغيب ، والترهيب ، وهي من تقنيات الخطاب البلاغي التي تتجاوز فيها عملية الإبلاغ إلى الإقناع للمتلقي ، وفق مقاصد المتكلم والسياق الذي يتم فيه

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

التخاطب الأدبي ، فتؤدي إلى تحقيق أهدافه باستعمال العلامات اللغوية ، وغير اللغوية ، وفقا لما يقتضيه السياق ، وما يتطلبه المقام .

توطئة :

تعد هذه الدراسة قراءة نصية للكشف عن فاعلية الحجاج في بنية النص الشعري للشاعر احمد مطر ، وقد تمحورت في بعدين اساسيين هما : البعد النظري أو التنظيري في تحديد مفهوم الحجاج البلاغي في البلاغة الأرسطية ، وتقصي التعريف في المعجم العربي القديم ، والدرس البلاغي ، فضلاً عن البلاغة المعاصرة ومنظري الحجاجية في الدرس التداولي الحديث ، وأما البعد الثاني ، فهو البعد الاجرائي الذي يشتمل على تطبيق عملي في القصائد السياسية للشاعر بوصفها نصاً حجاجياً ، وسياسياً في آن واحد ، إذ يتكون النص بشكله العام في تلك القصائد من عتبات ثلاث هي المطلع الاقحامي الساخر ، ثم العرض التهكمي الدرامي احياناً المبتهج بالحجاج والاقناع ، والتأثير ، والتحريض ، وأخيراً خاتمة النص التي تمثل نقطة التحرر والخلاص من الواقع المزري والتحول للزمن المؤرق ، والحافز لموضوعة الحرية ، وأغلب النصوص التي وردت ختمت بهذا الموضوع ، وهذه العتبات النصية علامات نسقية حجاجية توضح حقيقة العلاقة المتوترة بين الشاعر صوت المضطهدين ، المنهزمين ، الفارّين ، المغتربين ، وصوت السلطة الحاكمة المتمثلة بالأنظمة الفاسدة التي تحكم العراق والوطن العربي بالسوط ، والقوة ، ومصادرة الحريات ، والسجون ، والاعدامات ... الخ .

وتعد البلاغة آلية من آليات الحجاج فكان البحث دراسة للأفعال الحجاجية وأساليب الطلب الحجاجي ، فضلاً عن الصور الحجاجية وأثارها في النص السياسي لاعتمادها على الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية ، أو الافعال الكلامية ، والروابط لحجاجية، والجمالية في النصوص الادبية ، ومن ثم وصفت عند البلاغيين القدامى ، ومنهم ارسطو طاليس في كتابه الخطابة بـ (فن الاقناع) والقاعدة الاساس لها أن الخطيب في خطابه وكتاباته يهدف الى تحقيق مبدأ الاقناع وتحريك القارئ والمتلقي لتبني مواقفه ورؤاه الفكرية .

وتقدم المعجمية العربية رؤيتها للحجاج بوصفه خطاباً مؤسساً على الحجة والبرهان ، فهي في اصلها اللغوي ((حَجَج ، حاججْتهُ وأحاجّه حجاجاً ومُحاجّه حتى حجَجْتهُ أي غلبته بالحجج ، ورجل مِحجاج : أي جَدِل ، والتحاج : التخاصم ، والحجة الدليل والبرهان)) [١] .

ويتكل الحجاج على اللغة ومعاييرها المجازية في التموضع النسقي ، فيغدو واقعة ثقافية تداولية ، وتعددية اللامتوقع ، فمعظم التغيرات بحسب قول ارسطو في الخطابة تنشأ عن المجاز ، والتمويه الذي يدركه السامع بعد حين ، وفي اطار الابعاد المعرفية في الخطاب الحجاجي تصبح الانساق ذات استدلالية ، وهو ما أشار إليه حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء (ت٦٨٤هـ) ، في خاصية الكلام واحتمالاته ، إذ يرد على جهة الاضمار والاقتصاص ، أو يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال [٢]، ونتيجة للتطور في المفهوم البلاغي الجديد عن طريق العلوم اللسانية والتداولية الحديثة ، كانت مدرسة البلاغة البرهانية التي جاء بها بيرلمان صاحب مصطلح البلاغة الجديدة ، التي تؤمن بتحقيق مظاهر الاستدلال بالخطاب في الأقوال السياسية والقضائية فضلاً عن الخطاب الادبي المعاصر ، القائمة على وسيلة الاقناع بالصور البلاغية [٣] ، ومن ثم يدرك الحجاج بوصفه حججاً منطقية إقناعية دفاعية

توظف من قبل المجادل بغية إقناع الجماهير ، فيثير طروحات فكرية فلسفية قوامها التساؤلات ، وتوظف العلوم السياقية خارج النص كالتاريخية والسياسية والنفسية بوصفها أنظمة في تجارب الحياة ، وقيمة اعلامية مشبعة بالممكن والمحتمل ، فالحجاج (جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة تحفز المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا الاقناع) [٤]، ومن ثم كان هناك البلاغة الادبية التي تمثل تراث الفكر الانساني المتفاعل مع الابداع الادبي ، فهي لا تنفي المحسنات أو الحجج ، والمحسنات مجموعة الصور والوجوه الاسلوبية ذات الوظيفة التحسينية ما يسمى (ببلاغة المحسنات) ، والحجج أي البنيات الاقناعية ، أو البلاغية الحجاجية ، من الصيغ التعبيرية والتصويرية في الاجناس الادبية وهي في صميم البلاغة وإن لم تحتويها خزانات البلاغة المقننة في ابواب ، فتستوعب الافق البلاغي من التخييل والحجاج والامتاع والاقناع ، وأما مصطلح البلاغة الادبية ، فهو مصطلح اطلقه الدكتور محمد مشبال في كتابه (البلاغة والاصول – دراسة في اسس التفكير البلاغي العربي) وكان تطبيقه على تراث ابن جني [٥]، ومن ثم فهو نموذج غير منضبط بلاغيا كما هي النماذج في البلاغة اللسانية ، والسيميائية المقترحة في الثقافة الغربية ، وحتى بعض النماذج العربية القديمة ،وهو نموذج فكري لا يسعى الى الضبط والتقنين ، بل وضع حدود عامة ومبادئ يسترشد بها البلاغي .

١- الحجاج السياسي وآلية الاستفهام :

وفي ضوء ذلك يبدو أن النص الحجاجي نص سياسي يتبنى سياسته الخاصة، بلاغيا ونسقيا ، من أجل تشكيل عوالم كونية ذات خطابات وتوجهات متمايزة ، فتكتسب الانساق فاعليتها ، وافقها الثقافي والمعرفي ، لأنها انساق تاريخية أزلية وفاعلة ، بدليل اندفاع الجمهور لاستهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هكذا أنساق، فللنماذج الحجاجية وظائف استعارية تجعل النص مترابطاً ، فيتخذ الحجاج بعداً تواصلياً ينهض على أنواع من التواصل الاجتماعي بوساطة انساق سيميائية متنوعة ذات أبعاد ثقافية [٦]، فيبدو نص الشاعر أحمد مطر مكمناً لحضور الانساقالحجاجيةبوصفه نصاً سياسياً يجسد صورة الاحتدام ، والاعتراض ، والسخرية ، والتهكم ، من السياسة العامة والخاصة ، كالاقتصادية ، والاجتماعية تجاه الرعية وطبقات المجتمع المضطهدة ، ومصادرة الحريات العامة ، والعقول العلمية والفكرية والفلسفية ، فضلاً عن محاولة معرفة التكوين الثقافي للمؤلف الشاعر ، وحضوره الطبقي والاجتماعي ضرورة محضة فهو ابن العراق وابن الطبقة الكادحة ، ومعرفة علاقاته مع المؤسسة الايدولوجية ، والسلطة الفكرية في عصره ، للكشف عن فاعليات النسق في الخطاب الادبي الشعري لديه ، فهو الشاعر الفقير من الجنوب العراقي الذي عاش فقراً هو الآخر في زمن النظام الذي حكم العراق ، فاضطهده واضطهد طبقات المثقفين من الشعراء والادباء والعلماء ، وملاحقتهم ومصادرة حرياتهم ، والخلاف بين الحاكم وطبقات الشعب خلاف أزلي امتد لسنوات عجاف طويلة ، فكان الشاعر يخاتل السلطة المتزمتة في مطاليبها حتى مغادرته واغترابه خارج العراق

ويؤدي الاستفهام وظيفة تداولية تتمثل في إمتاع المتلقي من خلال خروجه الى اغراض مجازية متنوعة ، فهو لغة مصدر استفهم ، طلب الفهم ، وفهم الشيء فهماً [٧] ، أي علمه ، وهو أحد الاساليب البلاغية المرتبطة بموضوعة اساليب الطب الانشائي ، الهدف منه طلب الافهام تصوراً أو تصديقاً ، فمنه الحقيقي الذي ورد بأصل معناه وهو معرفة المجهول ، وطلب الفهم ، كقوله تعالى :چڤڤققچ، وأما المجازي فهو معروف الاجابة من صاحبه

، ولكنه يقود لمعنى آخر يفهم من سياق الكلام ، ويسمى الاستخبار ، وهذان النوعان يعول عليهما المتلقي لخطاب الشاعر ، ولاسيما النوع الثاني في العملية الحجاجية ، نظراً لما يتمتع به من استجلاب القارئ ، ولفت انتباهه في عملية الاستدلال للخبر ، فيخدم مقاصد الخطاب الشعري ، ويلعب دوراً اساسياً في الاقناع بالحجة أو البرهان أو الدليل .

ويستنهض الشاعر طاقات الشعب بشحنها ضد الحكومات والطواغيت ، بل ضد الاجهزة القمعية التي تكبل حرياته ، عن طريق الافعال الكلامية الاستفهامية والأمرية في جعلها عتبة للنص وذات افعال انجازية تتطلب الحركة والاندفاع واستحضار الشخصيات التراثية للحث على الانجاز وتذكيرهم بماضي سحيق لو رجع ثانية لأعادوا الكرة في اندثاره بسبب الخيانة ، يقول الشاعر في قصيدة (ورثة إبليس) .

قُـــمْ يـــا صـــلاح الـــدين قُـــمْ

حتـــى اشـــتكى مرقـــده مـــن حولـــه العفونـــهْ

كـــم مـــرّة في العـــام توقظونـــه ؟

كـــم مـــرّة علـــى جـــدار الجُـــبن تجلدونـــه ؟

أيطلـــب الأحيـــاء مـــن أمـــواتهم معونـــة ؟ !

دعـــوا صـــلاح الـــدين في ترابـــه

واحترمـــوا ســـكونهْ

لأنـــه لـــو قـــام حقـــاً بيـــنكم

فســـوف تقتلونـــه ! [٨]

إذ استلزم الاستفهام المنفي للتعجب في السطر الخامس ، والسطرين الثالث والرابع ، مجادلة استفهام يعول عليه الشاعر لجدالهم ، قولاً حجاجياً خرج للتوبيخ والتقريع ، وقد وقعت هذه الافعال ، وكان الأجدر ألاّ تقع ، فيثير التفكير وتدبر الامور بإثارة التعجب متعاضداً بالبرهان والفرضية التي طرحها الاستفهام(أيطلب الاحياء من امواتهم معونة ؟!) والنتيجة الأمر بالكف (دعوا صلاح الدين في ترابه) ، ثم استلزام الشرط الحجاجي في محاولة اقناعهم (لو قام حقاً بينكم فسوف تقتلونه) وهي نتيجة داحضة لهم ، ومقنعة بالبراهين التي طرحها النص بما

سبق من سياقات وردت ، ونتيجة لتفاعل الذوات الحجاجية في بنية الخطاب ، وما يشي به هذا التفاعل من حركيات وجدليات دائبة تسعى الى البرهنة ، واثبات الفاعلية، فان النص الحجاجي يضحى مداراً لتوالد الانساق الثقافية المتسمة بالانفتاح الدلالي اللا متناهي، مما يجعل القصيدة نصاً غير مغلق على جهازه اللغوي والمعنوي [٩]، ومن ثم تكتسب فاعليتها الثقافية لأنها انساق أشبه بالتاريخية التوثيقية أزلية وفاعلة بما تحتويه من إرث ثقافي ومعرفي جسد مرحلة تاريخية لا يمكن نسيانها .

ويقول في قصيدة (إحفروا القبر عميقا) :

مِـــــــــــــــمَ نخشـــــــــــــــــى ؟

أبصـــــــــــرُ الحُكّـــــــــام أعشـــــــــى

اكثـــــــــــر الحكـــــــــام زهـــــــــدا

يحســـــــــب البصـــــــــقة قِرشـــــــــا

أطـــــــــول الحكـــــــــام ســـــــــيفا

يتقـــــــــي الخيفـــــــــة خوفـــــــــا

ويـــــــرى الـــــــلا شـــــــيء وحشـــــــا

★★★

إنهضـــــــــــــــــــــــــــــــوا

ان لهـــــذا الحـــــاكم المنفـــــوش مثـــــل الـــــديك

أن يشـــــــــــــــــبع نفشـــــــــــــــــا

انهشـــــــــــوا الحـــــــــــاكم نهشـــــــــــا

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

واصـــــنعوا مـــــن صـــــولجان الحكـــــم رفشـــــا

واحفـــــــــــروا القـــــــــــبر عميقـــــــــــاً

واجعلـــــــــوا الكرســـــــــي نعشـــــــــا ! [١٠]

وقد ابتدأ الشاعر ثرياه باسلوب انشائي ذات فعل انجازي وهو الأمر في قوله (إحفروا) ، مع تعاضده بفعل كلامي آخر وهو الاستفهام (مم نخشى) ثيمة في كل مطلع ، وعتبة جديدة في كل مقطع من مقاطع القصيدة ، فهي تتكون من اربعة مقاطع ، ابتدأت بالاستفهام التكراري مع تواجد الأمر متعاضداً في استنهاض الهمة ، وحشد الصفوف لمقارع الظلم والظالمين ومواجهة الحاكم ، وكراسي الحكم الفارغة ، المنتفخة كذباً وخداعاً ، فأحسن الاستخدام والتوظيف في بداية الاسطر الشعرية ونفث اساليبه الطلبية التي يستدعي بها افعالاً انجازية من المتلقي المترقب ، وحمله على انجاز فعل معين يواكب رسالته ، فيطالب بالتغيير ، والنهضة بوجه الحاكم وظلمه وتسلطه ، واحالته الكراسي من تحت هؤلاء المتجبرين الطغاة الى نعوش يقبرهم فيها عميقاً .

ومن ثم فقد حمل الاستفهام طاقة حجاجية تكمن في أن الزيادة في أفعال الاستنهاض ، والتحشيد كقوله (انهضوا ، انهشوا ، اصنعوا ، احفروا ، اجعلوا) وكلها تصييرية وتغييرية ، تبعث على الأمل في التغيير المنشود ، فهي انجازية لا محالة ، والاستفهام والأمر وجها المتلقي الى خيار واحد ، وهو السبيل الوحيد للحفاظ على هيبة الدولة وتحرر الشعوب ، وانقضاء القيود ، والفقر ، والحاجة ، والعوز ، والحرمان .

فكان الانشاء الطلبي افعالاً انجازية تواصلية من خلال توافرها في النص ، إذ يتحول فيها القول على وفق مقصدية المتكلم واحواله وارادته الى فعل لغوي ، لأن القصدية اساس عملية التواصل والابلاغ ، وبه وحده يمكن عدّ المتكلم متكلماً ، وفهم الملفوظ مرتبط بالأساس في ادراك المقاصد ، والسياقات واحوال المتخاطبين [١١]، فالمخاطب في قصائد احمد مطر هم فئة الشعب الكادحين ، والفقراء ، المسلوبة اراداتهم وحرياتهم وحقوقهم ، فئة المثقفين من الشعراء والادباء ، والكتاب ، فئة العلماء والاطباء ، والمهندسين ، فئة العمال والكسبة ، إذ لم تسلم فئة من المجتمع من السلطان الجائر ، والحزب الأوحد ، وأما الفئات الأخرى فهي فئات (المواطن العربي) ،فاستخدام الاستفهام ومعانيه من التعجب والاستنكار ، والاستهجان ، والسخرية ، وكثرة المعاني والقدرة على التعبير عن مواقف الحجاج التي غرضها الاساس هو التأثير في المتلقي وتحريك شعوره طلباً للاستمالة والإقناع – مولداً أفعالاً وقوة انجازيةمستلزمةباغراء المخاطب وحمله على انجاز فعل المواجهة والانتفاضة على الحكام ، والاستفهام غير الحقيقي ، أو المجازي شكل من أشكال الاحتجاج على المخاطب غير المتمسك بقيم المواجهة أو التقاعس وقبول الآخر المتسلب للحريات، ومن ثم كان القبر للطغاة ، والحفر فيه عميقاً كيلا يسمع بخروجهم مرة أخرى أو انتصاب قاماتهم ، أو كراسيهم الفارغة .

ومن خلال قراءة نصوص الشاعر ، تظهر أنه يتبنى موقفاً حجاجياً مضاداً لسلطة النظام والحزب الحاكم ، والسلطة القائمة في العراق بكل مؤسساته ، موقفاً مناهضاً للجلاوزة ، الذين كثيراً ما أسماهم بالمخبرين ، والكلاب ،

والوحوش ، بسبب من لحاقهم ، وركضهم المستمر خلف الشرائح المثقفة في المجتمع ، ومحاولتهم تحجيم أو تكميم أفواههم ، أو قمعهم وزجهم في السجون ، فهو لا يمدح وإن مدح يقدح ويشكو ثم يهجو ، لكن المفارقة تتجسد في حنين الذات المنتمية الى عالمها الاصيل ، حنين دائب على الرغم من كل متضاداتهومتناقضاته وتقلباته ، إذ أن سلطوية المخبر والاجهزة الامنية المتفشية كالكلاب السائبة ، وممارستهم مواقف الفوقية والمحسوبية مع الرعية أدت الى انعدام الحياة ، وتكوين مواقف حجاجية جمعية تواجه السلطة وقمعها ، إذ تمارس استغلالاً وظيفياً قمعياً ، ومن ثم يحدث الهروب الجماعي من عالمها المتضيق بالخناق ، الى عالم آخر ارحب واوسع ، وإن كان عالماً فوضوياً أو افتراضياً أو مغادرة المكان ، والتغرب في بلاد الغربة ، الأرض الواسعة الرحبة .

٢- الحجاج السياسي والروابط الحجاجية

وتعد الروابط بين الجمل أدواتحجاجية لها وظيفتها التداولية على الرغم من ورودها في الدرس النحوي أو الدلالي ، فهي عوامل تقوية للجملة وانسجام الخطاب ، والدفع به نحو البعد الاقناعي والتأثيري من خلال استمالة المتلقي وتوجيهه نحو غاية المتكلم ، فهي عناصر لغوية تلعب دوراً اساس في اتساق النص وانسجامه وربط اجزائه شكلاً ومضموناً لتحقيق الوظيفة الحجاجية ، إذ تسهم هذه الروابط في انسجام الخطاب وتماسكه من خلال ربطها بين القيمة الحجاجية لقول ما ، وبين النتيجة أي الربط بين قضيتين وترتيب اجزاء القول ، ومنحها القوة المطلوبة بوصف هذه القضايا حججاً في الخطاب وهي : ((لكن ، بل ، حتى ، لأن ، لام التعليل ، كي ، الواو ، الفاء ، ثم ...)) [١٢] .

وقد نجد هذه الروابط تتعاضد مع الافعال الانجازية في صناعة وابراز القيمة الحجاجية ، وتوجيه دلالة المحاججة في النص الشعري ، فمن قصيدته ((شاهد إثبات)) نجد المفارقة في استنفار ، ومجابهة حجاجية ، بأساليب لغوية بلاغية تعضدها أدوات الربط لتحقيق افعال انجازية :

لا تطلبي حُرّيةً أيّتها الرعيّةْ

لا تطلبي حُريّةْ

بل مارسي الحُريّةْ

إن رضي الرّاعي .. فألف مَرْحَبا

وإن أبى

فحاولي إقناعَهُ باللُطفِ والرّويّةْ

قـــــولي لـــــه أن يشـــــرب البحـــــر

وأن يبلـــع نصـــف الكُـــرة الأرضـــية !

مـــــا كانـــــتِ الحُريّـــــةُ اختِراعـــــهُ

أو إرث مـــــــــــــن خلفـــــــــــــهُ

لكـــي يَضُـــمّها إلى أملاكـــه الشخصـــيّة

قـــولي لـــــه إنّـــي وُلِـــدتُ حُـــرّةً

قـــولي لـــــه : إنّـــي أنـــا الحُرّيـــة

مما جعلها عناصر لغوية تلعب دوراً اساسياً في اتساق النص ، وانسجامه وربط اجزائه شكلاً ومضموناً ، فضلاً عن توافر آليات الحجاج الاخرى التي تدفع بالنص الى الامام ، كالنهي والأمر ، اللذان يحققان الوظائف التوجيهية الحجاجية للملفوظات ، وقد برز هذا البعد عند (ديكرو) في موضوعة التداولية ونظريتها التي تشكل جزءاً من النظرية الدلالية ، وبحسب ديكرو علق شكري المبخوت على ذلك بقوله أن كل ما يتعلق بالجملة هو عامل حجاجي ، كالنفي ، والاستثناء المفرغ ، والشرط والجزاء ، مما يغير قوة الجملة من دون محتواها الخبري [١٣].

فقد وضع ديكرو نظرية الحجاج في اللغة منذ بداية السبعينيات ، بوصفها نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية ، إذ تنطلق هذه النظرية من فكرة مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير ، وأن الوظيفة الاساسية للغة هي الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية ، واختلف عن بيرلمان ورؤيته البلاغية والفلسفية ، فان ديكرو لا يبني الحجاج على هذه الاسس ، بل الحجاج عنده مؤسس على بنية الاقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب [١٤].

ونجد كذلك روابط اخرى للحجاج فصلها الدكتور (ابو بكر العزاوي) في كتابه الحجاج واللغة ، وكذلك بحوث ودراسات حديثه اشارت الى تلك الروابط الخمسة فالمدرجة للحجج هي : حتى ، بل ، لكن ، لأن) وأما المدرجة للنتائج فهي (إذن ، لهذا ، بالتالي ، ...) ، وروابط التعارض الحجاجي (بل ، لكن ، مع ذلك ، ...) وروابط التساوق

الحجاجي هي (حتى ، لاسيما) وأخيراً روابط تدرج حججاً قوية (حتى ، بل ، لكن ، لاسيما) ، وهناك عوامل حجاجية تقصر ، وتحصر الإمكانات الحجاجية كأدوات القصر [١٥].

ففي النص السابق ، بعد ورود الاجراء الحجاجي بآلية (النهي) الذي يستلزم بالضرورة فعل انجازي من المتكلم المستمع للخطاب في قوله (لا تطلبي) مرتين ، وبالنداء (ايتها الرعية) ، ثم أدوات الربط (بل) الدالة على التعارض والمخالفة (بل مارسي الحرية) ، ثم (إن) الشرطية مع جزائها (فألف) المتكررة أيضاً مرتين (إن أبى فحاولي) ، (إن رضي فألفْ مرحبا) ، ثم العودة الى الافعال الكلامية (قولي لي) المتكررة ثلاث مرات والمتوازية طوليا كعلامة سيميائية بإعطاء اجابة ، ودليل إقناعي مستثمر من تجربة القيم الانسانية في المجتمع الأوحد ، والحرية الوحدانية (ما كانت الحرية اختراعه أو إرث) والرابط الآخر (لكي) ويضمنه الدليل الثاني والبرهان العقلي (لكي يضمها الى املاكه) وهنا موطن التوتر ، فالحرية مشاعة للجميع وهذه حقائق استدلالية لا يمكن الشك فيها ،وأما الدليل الثالث فمرتبط بطلب ، وجملة الاخبار المؤكدة عن طريق الخبر الطلبي في تثبيت الرأي من دون تشكيك ووضع الحجة في قوله :

إنّـــــي ولـــــدتُ حُـــــرّة

إنّـــــي أنـــــا الحريـــــة

وهذه (لكي) ترد مع لام التعليل وتعملان معاً في افادة التعليل والتبرير ، وتوكيد الغاية للقارئ ، ودعم الحجة ، وإفادة المعنى الكلي للقول ، فالنتيجة : ما كانت الحرية اختراعه ، والرابط الحجاجي : لكي ، والحجة يضمّها الى أملاكه ، فالنتيجة مفسرة ومعللة ومؤكدة بواسطة الحجة وما أفاده الرابط (كي) للجملة ، وأما الشرط الذي يرد ثلاث مرات ، ارتبط بالنتيجة ، فالجملة الشرطية عملية حجاجية فعالة ، لأنها تضمن بقاء المخاطب مع المتكلم ، وتبعث على الاقناع والتأثير ، والشرط عملية حجاجية تحمل المخاطب على مشاركة المتكلم في عملية الاستدلال والبناء [١٦] .

ومن ثم جاء الشرط مرتبطاً بجملة فعلية تهدف الى اقناع المتلقي من خلال تعبيرها عن حقائق متغيرة بتغير الزمن ومستقبلية لم تنجر ، وجملة الجواب الشرطي متنوعة بين الفعل والاسم ، إذ يتغير الجواب تبعاً لطبيعة العلاقة بين الفعل والجواب، ومن الظواهر التداولية المتعلقة بالاسناد الخبري ، إنزال المخاطب منزلة المتردد ، أو الشاك ، فكانت الاجابة بالتثبيت والتوكيد المرتبط بالأداة (إنّ) المتكررة في سطرين .

الحجاج السياسي – النداء وسلطته :

وتتكرر عوامل القهر الإنساني في قصائد أحمد مطر ، فحياة الناس مهددة بالحكم والطغاة ، والاجهزة القمعية ، إذ تحول العراق الى سجن كبير ومغلق ليس فيه منفذ ، مما يبعث على القلق والتوتر والاستلاب في كل وقت ، والشعور بأنك مراقب وهناك خلفك مخبر ، فتكنى الحوادث والالفاظ وترمز الدلالات ، والكتابات والمنشورات خوفاً من القمع والسجن والزمن السالب ، إذ تتماهى صور الشر ، ومكائد الطغاة ومصائدهم بوصفها نسقاً للشر الانساني الذي يقلق الانسانية الايجابية المتمثلة بالشاعر وشرائح المجتمع المثقفة والرعية بشكل عام ، فتظهر صفات الفحولة

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

المقاومة للضعف والاستسلام والانكفاء على الذات أو الاغتراب ، لتتحول الى محاولة التحرر ومواجهة القوة الضاغطة نفسياً الماثلة في صوت اجهزة القمع الى قوة مقاومة لا تقوم على انساق المخاتلة التي سعى إليها الشاعر أحياناً ، فيفرض بذلك صوته الحجاجي ، إذ يقول في (سلاح بارد) :

يـــــــــا أيُها الإنســـــــــان

يـــا أيها المجـــوّع ، المخـــوّفُ ، المهـــان

يـــــا أيها المـــــدفون في ثيابـــــه

يـــا أيها المشـــنوق مـــن اهدابـــه

يـــــا أيها الـــــراقصُ مـــــذبوحاً

علـــــــــــى اعصـــــــــابه

يـــا أيها المنفـــيُ مـــن ذاكـــرة الزمـــان

شـــــــبعت موتـــــاً فـــــانتفض

آن النشـــــــــــــــــــور الآن

بـــأغلظ الايمـــان واجـــه اغلـــظ المآســـي

بقبضـــــــتيك حطـــــم الكراســـــي

أمـــــــــــا اذا لم تســـــــــتطع

فجـــــــــــرّد اللســـــــــان

قُـــــل : يســـــــقط الســـــلطان [١٧]

والنداء سلطة حجاجية في الخطاب الشعري السياسي ضد الحكم والشعب والانسان رمز الحرية المستلبة ، والخطاب جاء رداً مباشراً على الاستبطاء للشعب في قضاء حاجاتهم الانسانية ، وقبولهم باستلاب حرياتهم ، ومصادرة وطنيتهم ووجودهم في الحياة ، فكان النداء مع التنبيه بالهاء ، حجة عليهم ، يكررها في سياقات متوازية يحشد فيها الالفاظ التي تعري الحقائق امامهم ، وقد وضع الحجة عليهم ، لينتظر منهم ادواراً بطولية بعد اقناعهم بأنهم اموات في لباس الاحياء : (المجوّع ، المخوّف ، المهان ، المدفون ، المشنوق ، المذبوح ، المنفي) ، فيحتج عليهم وعلى الانسانية في قوله (فانتفض) ، (آن النشور ، واجه اغلظ المآسي) (بقبضتيك حطم الكراسي) (جرّد اللسان) وكلها افعال انجازية كلامية تستلزم الانجاز ، وهو (سقوط اللسلطان) في قوله يسقط السلطان ، وهو صوت حجاجي في هجاء السلطة والحاكم ، وهكذا يكتسي المهمش والمقصي في نص الشاعر سلطة الحضور بفعل عوامل الرفض والاحتجاج على المستويين الفردي متمثلاً بالشاعر ، والجمعي متمثلاً بسلطة الكادحين ، منتقداً للمسكوت عنه مراراً في سياسة السلطة التي توظف العامل الاقتصادي والاجتماعي بالترهيب والتجويع والقمع في السجون ، والاعدام ، والنفي في بلاد الغربة وغيرها ، لاخضاع المناوئين لهم والقضاء عليهم ، ولعل السر في جمالية الاساليب الطلبية وأفعالها الكلامية باستعمالها افعالاً انجازيةحجاجية ، هو انها في الاصل تتطلب جواباً بالايجاب أو السلب ، جواباً يحتاج الى رؤية وتفكير ، وبعد الاجابة يكون توجيه السؤال حملاً له على الاقرار بالنفي أو الايجاب ، والاقتناع بالفكرة المطروحة المراد لها أن تنساب في عقل ووجدان المتلقي ، والقارئ والمستهلك ، بمواقف بطولية تعبوية نحو التغيير والثورة ، ومن ثم حمل من وُجّه اليهم الخطاب الاستفهامي أو الندائي أو الأمري ، على ابداء الموافقة للحوار والجدل والتعديل على هذه الاساليب والاجراءات للاقناع ، وجذب القارئ والمستمع في عملية الاستدلال ، بحيث أنه يشركه في المحاججة ، بحكم قوة الاساليب وآليات الحجاج وخصائصها ، فهي تخدم مقاصد الخطاب ، وتلعب دوراً أساسياً في الاقناع والحجة والبرهان [١٨] .

٣- **التفاعل بين الآليات والعوامل الحجاجية (الملفوظية)** : وفي نصه (ديوان المسائل) يقول :

إن كـــــان الغـــــربُ هـــــو الحـــــامي

فلمـــــــاذا نبتـــــــاع ســـــــلاحهُ ؟

وإذا كـــــــان عـــــــدواً شرســـــــاً

فلمـــــــاذا نُدخِلـــــــه الســـــــاحة ؟!

★★★

إن كـــــــان الـــــــبترولُ رخيصـــــــاً

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

فلمـــــــــاذا نقعـــــــــد في الظلمـــــــــة ؟

وإذا كـــــــــان ثمينـــــــــاً جـــــــــداً

فلمـــــــــاذا لا نجـــــــــد اللقمـــــــــة ؟!

★★★

إن كـــــــــان الثـــــــــوري نظيفـــــــــاً

فلمـــــــــاذا تتســـــــــخ الثـــــــــورة ؟

وإذا كـــــــــان وســـــــــيلة بـــــــــول

فلمـــــــــاذا نحـــــــــترم العـــــــــورة ؟!

★★★

إن كـــــــــان الوقـــــــــت طبيعيّـــــــــاً

فلمـــــــــاذا نهـــــــــوى التطبيـــــــــع

وإذا كـــــــــان رهـــــــــين الفوضـــــــــى

فلمـــــــــاذا نمشـــــــــي كقطيـــــــــع ؟! (١٩)

فيحاور الشاعر المخاطب المتلقي للخطاب ، ويناقشه ، ويحاججهبآراءه المطروحة وهو يطلب اجابات ، ومطلب جماهيري بالتأييد ، جماهيري وعربي في الوقت نفسه ، إذ يحاول الوصول الى اجابة مقنعة عبر الحوار المتمثل في سياق الاستفهام التقريعي الذي يحمل المخاطب على انجاز فعل التحقير واستصغار الحكام وتصرفاتهم غير المسؤولة تجاه القضايا العربية ، وقد جاء الاستفهام الحجاجي في مقاطع القصيدة السياسية على وتيرة تكرارية واحدة ، وباسلوب تكرار النسق الواحد ، مع تكرار كل مقطع مرتبط بدلالة جديدة ، وبشكل متوازي ، فكانت عشرة مقاطع تتوارد فيها صيغة الاستفهام مع اعطاء لمحة اجابة في وجود الشرط الذي يعدّه ديكرو عاملاً حجاجياً ، فوجود (إن الشرطية) مع جوابها المرتبط بالفاء لتوضيح السبب ، وكذلك (إذا الشرطية) مع جوابها المرتبط بالفاء أيضاً ، إذ

يتكرر هذا السياق من عتبة النص حتى نهاية النص ، اعتمد الشاعر على الجمل الشرطية المرتبطة داخل تركيب الاستفهام كما هي الحال في المقاطع كلها .

فالقضية ليست في رصف هذه المقاطع ومجيئها بآلية تراتبية ، بل لتكون الحجة التي تقوم لاقناع المخاطب بمضامين الرسالة التي يبعثها الشاعر له ، ومن ثم " فالشرط عملية حجاجية تحمل المخاطب على مشاركة المتكلم في عملية الاستدلال والبناء " [٢٠] ، فضلاً عن كون فعل الشرط جملة اسمية تهدف الى اقناع المتلقي من خلال تعبيرها عن حقائق ثابتة تحسسها المثقفون في المجتمع ، بينما جاء جواب الشرط جملة فعلية لتمثل الآثار المترتبة على فعل الشرط ، إذ تتغير الافعال تبعا لطبيعة العلاقة الموجودة بين الفعل والجواب الذي يستلزم منه أفعالاً انجازية ، فلولا الأمل بالثورة لما قامت الثورات ، فالجملة الشرطية عملية حجاجية فعّالة ، لأنها تضمن بقاء المخاطب مع المتكلم ، وتبعث على الاقناع والتأثير [٢١]، فضلاً عن كونها أداة تواصلية بين باعث الرسالة ومتلقيها ، فأصبح الحجاج أداة لمناقشة الأفكار مهما كانت طبيعتها ومصداقيتها ، وغدا آلية مهمة في محاورة الاطراف المشتركة في عملية التواصل .[٢٤]

حجاج الصورة :

في نصوص اخرى ، تظهر آلية الحجاج في الصورة ما بين التمثيل والاستعارة، التي يوظفها كآلية من آليات الحجاج ، والصورة البلاغية أو المحسن البديعي ، ذات وظيفة حجاجية ، فكان اقتران اسم بيرلمان بالبلاغة الحجاجية ، ومن ثم التركيز على مرتكزات حجاجية متكاملة هي : اللوغوس أو (تقنيات اللغة الحجاجية) ، والإيتوس أو (الصورة الاخلاقية الفضلى للمتكلم وكفاءته معرفيا وقيمياً) ،والباتوس أو (الترغيب والترهيب) [٢٢]، فلم يكن هذا الحجاج مختفياً وراء الاقنعة التخييلية والرمزية الجمالية بشكل تام ، بل كان واضحاً لاسيما في الخطاب السياسي عن طريق الافعال الكلامية التي هي عبارة عن انجاز افعال معينة كالأمر والاستفهام ، والتحذير والترهيب ... الخ ، فكان التركيز على التلازم بين التصوير والحجاج في عدّهما عمود البلاغة ، والاساس الذي يسوّغ إطلاق تسميتها على أي مقاربة تتوخى دراسة الوظيفة التأثيرية والإقناعية في الخطاب الأدبي [٢٣] ، وللصورة معطيات حجاجية ذات أبعاد وأثار انفعالية تحرك مشاعر المتلقي ، واستعداده للعمل عن رغبة، فتصبح بديلاً عن الفعل وصيغته الأمرية ، وللاستعارة وسيلة استدلالية بما تنطوي عليه من إثبات لاقرار المعنى وترسيخه في الذهن ، فهي تركيب في قياس مختزل حذفت مقدمتاه واكتفى بالنتيجة .

أما التشبيه الحجاجي فلا يؤتى به ليكون زينة زخرفية تحسينية ، بل ليزيد المعنى وضوحاً ، فيقتنع المتلقي ، وهو أداة ناجعة في الوصول للهدف لاسيما التشبيه التمثيلي ، لأنه يمتلك النفوس ، ويشغلها باطناً وحسياً ظاهراً في الفكرة والخيال ، فضلاً عن الكناية وطاقاتها الحجاجية ، إذ تترك للذهن مجالاً واسعاً لإقامة علاقات تؤدي الى الاقناع العقلي بالحقيقة التي يثبتها المتكلم ، يقول الشاعر في نص تظهر فيه آلية حجاج الصورة التي يوظفها في قصيدة(الممكن والمستحيل) :

لـــــو ســـــقط الثقـــــبُ مـــــن الإبـــــرة !

لـــــو هـــــوت الحفـــــرة في حُفـــــرة !

لـــــــو ســـــــكرت قنينـــــــة خمـــــــرة !

لـــــو مـــــات الضحـــــكُ مـــــن الحســـــرة !

لـــــو قـــــصَّ الغـــــيمُ أظـــــافره

لـــــو أنجبـــــت النســـــمةُ صـــــخرة !

فســـــــأمنُ في صـــــــحة هـــــــذا

وأقـــــــرُّ وأبصـــــــم بالعشـــــــرة[٢٧]

والقول الاستعاري قول حجاجي ، وحجاجيته من النوع التفاعلي الذي يسمى بالتحاج ، وهو مرتبة ثالثة من الاستدلال بعد البرهان والحجاج ، تتميز بكونها تأخذ بمبادئ تجنح الى التناقض ، فيكون التحاج بين آليتي الادعاء والاعتراض الميزتين للحجاج ، فالمتكلم في القول الاستعاري ذاتاً مدعية لوجود المعنى الحقيقي للجملة ، وذاتاً معترضة على وجود هذا المعنى في الوقت ذاته [٢٤].

لقد بنى الشاعر نسيج النص على الاحتمالية التي وزعها في (لو) الدالة على الشرط بتكرارها متوازية طولياً ، ليأتي الجواب في السطر السابع ، وقد نسج تراكيب الاسطر الستة بالأقوال الاستعارية ، فكل الاستعارات الواردة لا يمكن قبولها مفهوماً دلالياً ، فهي مؤولة لدلالات اخرى منافية لظاهرها ، في (سقط الثقب) و(هوت الحفرة) و(سكرت قنينة) و(مات الضحك) و(قص الغيم اظافره) و(انجبت النسمة) ، ومن ثم فالمعنى الحقيقي ظاهر غير مراد ، أما المجازي فهو مضمر خلف الالفاظ وهو المراد ، وكلما زادت غرابة الاستعارة اثارت عند المتلقي الانتباه والجذب ، فالأصل أن تولد الدهشة المقرونة بلذة الاكتشاف لغير المتوقع المهيب في موقعه ، فتحقق الدهشة انفعالات نفسية تقود القارئ نحو المقصدية في الخطاب وهو الاقناع ، ولتحقق الاستعارة ذلك الانفعال تبنى على ما هو غريب وعجيب وغير متداول ، ويقول في قصيدة (الحائط يحتج) ، وقد شخص ثريا النص وجعله ناطقاً محتجاً :

رجـــــلٌ يمشـــــي جنـــــب الحـــــائط

مبـــــــتهلاً : يـــــــا ربّ الســـــــترا ...

الحـــــــائط يرمقـــــــه شـــــــزرا :

مـــــن متـــــا بالنجـــــدة أحـــــدى ؟

أهـــــو المربـــــوط برغبتـــــهِ .. ج

أم مـــــن هـــــو مربـــــوط قســـــرا ؟ !

يـــــا طالـــــب ســـــتر مـــــن صـــــخرِ

ويـــــداك تهـــــدّ ان الصّـــــخرا !

السّـــــتر بأمثالـــــك يَعـــــرى ! (٢٥)

فتؤدي الاستعارة وظيفتها الحجاجية في اقناع القارئ بالحركة وعدم الوقوف متفرجاً بإزاء الاحداث ، أما مفارقة العنوان الاحتجاجي فهو لوضع الحجة على الصمت المطبق الذي يلف الشعوب خوفاً ، أو طمعاً ، فالحائط جماد لا يمتلك الايدي ليغير وضعه ، ثم يضع الشاعر مفارقة اخرى تتضاد مع المألوف ليعرّي المتقاعسين في قوله (يداك تهدان الصخرا) و(الستر بأمثالك يعرى) ، ومن ثم تحقق الفائدة والمتعة من الاقوال الاستعارية لأنها تنقل الاشياء من حال التجريد الى المادية ، ومن الجماد الى الحركة ، فتجعل غير الحي حيّاً ناطقاً وفاعلاً وتلبسه ، الصفات الانسانية التي يتمناها لحائطه الجامد الذي يحاول تحريكه وقد كنى به عن كل انسان يطمع بالحرية وخاطب بها الانسانية جمعاء :

ولنلاحظ حركية وحيوية الاستعارة الحجاجية في قصيدة (ضد التيار) :

الحـــــائط رغـــــم توجّعـــــه

يتحمـــــل طعـــــنَ المســـــمار

والقصـــــنُ بـــــرغم طراوتـــــه

يحمـــــل اعشـــــاش الأطيـــــار

فلمـــــاذا الحـــــائط يطعـــــنني ؟

والغصـــن المتخفّـــفُ متـــي .. يســـتثقلني ؟ج

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

ولـــــــــاذا جتـــــــــة ازهـــــــــاريج

يحملـــــــــها القـــــــــبرُ الى النـــــــــار ؟ج

—

لوقـــــــــوفي ضـــــــــد التيـــــــــار

أصـــــــــرخ : يـــــــا تيـــــــار تقـــــــدّم

لـــــــن اهتـــــــزّ ، ولـــــــن أنهـــــــار ج

بـــــــل ستضـــــــار بـــــــي الأوضـــــــار

يـــــــا تيـــــــار تقـــــــدم ضـــــــدّي

لســـــــــــــــت لوحـــــــــــــــدي

فأنـــــــــــــــا عنـــــــــــــــدي

مـــــا دمـــــت جميـــــع الأحـــــرار ! [٣٦]

فهي تحمل افعالاً غير انجازية مستقبلية استشرافية يحث فيها على الانجاز في المستقبل القريب (تقدم ، لن اهتز ، لن أنهار ، تقدم) صورة مشرقة بالأمل والحرية، والشاعر رمز الفحولة وهو البطل الاسطوري الذي يحمل أوطار غيره ، يمثل المحرر والمخلص بل كل الثوار والاحرار ، فضلاً عن تشغيل بلاغة اللسان والصورة ، والتركيز على المقصديةالاقناعية والتأثيرية ، ولها خاصية الدعاية والاعلان ، بغية تحقيق المتعة ، واللّذة ، وبناء عوالم حلمية ممكنة [٣٧] .

والصورة الاشهارية خطاب استهوائي وايحائي واقناعي ، يتكون من ثلاث خطابات اساسية ، هي الخطاب اللغوي اللساني ، والخطاب البصري الايقوني ، والخطاب الموسيقي الايقاعي ، ويتكون من مضمون ثنائية الدال والمدلول [٣٨] ، فحقق النص (ضد التيار) سمته الاشهارية عن طريق الحجاج البلاغي وهو الخطاب اللساني بما امتلكه من طاقة حجاجية بالأساليب البيانية ، فضلاً عن حجاجية التراكيب الاسلوبية الانشائية وما تحمله من طاقات اقناعية ،

وقد حملت قصائد الشاعر سمتها وصفتها الاشهارية في أغلب عنواناتهاالحجاجية كقصائد (بلاد ما بين النحرين ، إني المشنوق اعلاه ، وراء قضبان الماء ، كيف تأتينا النظافة ، ارجوزة الاوباش ، صباح الليل يا وطني ، وصايا البغل المستنير ، بلاد الكتمان ، حيثيات الاستقالة ، فبأي آلاء الشعوب تكذبان)، ومن الاستعارة والتمثيل يقول في ومضة شعرية بعنوان (درس) :

سـاعة الرّمـل بـلاد

لا تحـبُ الاسـتلاب

كلما أفرغها الوقت من الروح

استعادت روحها

.. بالانقلاب ! [٢٩]

فالتجسيد في قصيدة الومضة لفكرة ، ومحتوى عظيم يثري الموضوع المؤول بتمثيل ، وقلب الماديات الى محسوسات ، والواقع الثوري الذي لا يهدأ ثورة بركانه ، فلا بد من انقلاب لتغيير أوضاعه ، فالفكر الانساني ليس دائماً فكراً برهانياً واستدلالياً ، فقد نجد افكاراً غير منطقية ، ولكنها تحمل في طياتها ما هو حجاجي ، كما هي الحال في الجمالي أو الفني ، الذي يقوم على وظائف حجاجية بامتياز لاسيما الاستعارة التنافرية التي تحمل بين طياتها مفارقة دلالية واضحة ، .[٣٥]

والشاعر يعتمد على البعد التداولي للصورة الفنية لاستجلاب موافقة المتلقي ، ودفعه الى القيام بالفعل ، إذ تقاس الصورة بدرجة التأثير الذي تحدثه في نفس المتقبل ، وهو تأثير غير نفسي ، زئبقي ، لا ينصاع لمعيار ، بل هو ينضبط بقوانين اللغة [٣٠] ، وفي قصائده نلمح الصورة التشبيهية والاستعارية قوة ماثلة تماثل الإقناع الخطابي البلاغي فهي آليات بلاغية حجاجية وظفها الشاعر لتقريب المعنى من المخاطب والتأثير فيه واقناعه ، والاحتجاج بأحقية قضية المجتمع ، لأنه مشاركة طرفين في حكم من الاحكام لعلة جامعة بينهما ، ففي نصه (من المهد الى اللحد) يقول :

كان وَحْدَهُ

شاعراً صَعَّرَ للشيطان خَدَّهُ

حين كان الكُلّ عبدَه

واحتـــــــــــــوى في الركعـــــــــــــة الأولى

يـــــــــــــــــدَ الفـــــــــــــــــأسِ

والقـــــــــــي هامـــــــــــةَ " الـــــــــــلاتِ "

لـــــــــــــــــدى أول ســـــــــــــــــجده

وقفـــــــــت كـــــــلُ كـــــــلاب الأرض ضِـــــــدّه

تمضـــــــــــــــــغ العجـــــــــــــــــزَ

وتشـــــــــــكو شِـــــــــــدّة الضـــــــــــعف

لـــــــــــــدى أضـــــــــــعف شِـــــــــــدّه

كـــــــــــــــــان وحـــــــــــــــــدَه

شـــــــاعراً مـــــــدّ الســـــــماوات لِحافـــــــاً

وطـــــــــــــــوى الارض مِخـــــــــــــــدّة

فغـــــــــــدت تهفـــــــــــو الى نعليـــــــــــه

تيجـــــــــان الـــــــــرؤوس المســـــــــتبدة

والأذى يخطـــــــــــــــــــــــــب ودّه[٣١]

والصورة الاستعارية ينظر فيها المتلقي الى المعنى من جهة التأويل وانتاج الدلالة ، والتوظيف الاستعاري المتنافر والمأخوذ من الموروث القرآني ، قد أعاد صياغته الشاعر ، أو أن ينظر من جهة الاستدلال البلاغي الذي

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

يقوم على مفهوم الملازمات في المعاني ، فهي ليست حلية زخرفية ، بل شحنة تحمل قيمة انفعالية لتعطينا معانٍ جديدة عن الواقع ، ووسيلة من وسائل انتاج الدلالات وتأويلها .

وتكمن حجاجية الاستعارة في التغيير الذي تحدثه في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي في (صعّر للشيطان خدّه ، القى هامة اللات ، تمضغ العجز ، مدّ السماوات لحافاً ، طوى الارض مخده ، الاذى يخطب ودّه) ، ومن ثم الاستعارة لا تسمح للمتلقي بمشاركة المتكلم في الفكرة أو الدعوى التي يدعيها فقط ، بل هي تدفعه الى أن يشاركه انفعاله وإحساسه ،وكأن الصورة كلام نصفه (وهو المصرح به) من صنع النص أو المتكلم ، ونصفه (وهو الضمني) من صنع المتلقي ، وهذا الوضع هو الذي يكفل للصورة قدرتها الحجاجية ، والقيام بعمليات الاستدلال بغية اكتشاف علاقة التشابه التي تجمع بين الصورتين ، ومن هنا تكمن قوة الحجاج للاستعارة ،إذ يكون المخاطب هو من بنى الاستدلال وتوصل الى النتائجوجسدت الاستعارة والتشبيه غربة الشاعر الازلية عن الوطن فكانت مواطن حجاجيةتنفثها قريحته المتألمة بالفراق في قصيدته (أحرقي في غربتي سفني) :

وكـــأنني إذ جئـــتُ أقطـــعَ عـــن يـــديَّ

علـــــى يـــــديكِ يَـــــدَ القُيـــــود

أوســـــعتُ صلصـــــلة القيـــــود

ولقـــــد خطبـــــتُ يـــــدَ الفـــــراق

بمَهَـــــر صـــــبري ، كـــــي اعـــــود

ثمـــــلاً بنشـــــوة صُـــــبحي الآتـــــي

فأرخيـــــت الأعِنّـــــة : لَـــــن تعـــــود

أنـــــا يـــــا حبيبـــــةْ

ريشـــــةْ في عاصـــــف المِحـــــن

أهفـــــو إلى وطـــــني

وتردّنـــــي عينـــــاك .. يـــــا وطـــــني [٣٢]

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

فكانت حركة الزمن مناوئة للمجموع ، وهي انعكاس لحركة السلطة ذاتها ، حركة سالبة تصبح أداة قمعية سلطوية توظف من قبل السلطة باتجاه الجماعة بوصفها حضوراً ثقافياً محضوراً ومحرماً ، فكان الرحيل ، والغياب ، والفراق ، والغربة، والانكفاء ، والانطواء حركات سالبة تمثلها الأفعال داخل النص ، وتمثلها الصور ، وحالة القطعية الانسانية بين الرعية والحاكم ، مما يدفع المجموع الى الانسلاخ والبحث عن الآخر ، أو البديل المحتمل .

وخلاصة القول : أن حجاجية الاستعارة لها وظيفة مركبة تربط بين العقل ، والاحساس ، فهي تحدث المفاجئة وخرق التوقع ، ثم اعادة نظام الخطاب ، وتأويله عن طريق إعمال الفكر ، فالأقوال الاستعارية اقوال حوارية ، كونها تتألف من مستويين من المعاني : الأول الحقيقي ، والثاني المجازي ، والأول هو الظاهر المؤول ، وأما الثاني فهو المضمر المبلغ ، فلا بد من التمييز بين الاظهار والتأويل، والتمييز بين الاضمار والتبليغ ، لتكون الذوات الخطابية في البناء الاستعاري أربعة هي : الذات المظهرة ، والذات المؤولة ، والذات المضمرة ، والذات المبلغة ، إذ يتخذ المتكلم الواحد كل هذه الذوات مظاهر لوجوده في القول الاستعاري ، ويتقلب بينها قائماً بأدوارها الخطابية [٣٣]، فالحجاج ((يكتسب معناه اذن ووظائفه من السياق الذي يرد فيه ، ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يندمج في استراتيجياته الفردية والجماعية)) [٣٤] ، فنجد الحجاج البلاغي ، والفلسفي ، والقضائي ... الخ ، مما يؤكد أن الممارسة الحجاجية مكون مشترك بين الثقافات ، لأن عملية التواصل بين البشر قاسم مشترك بين ثقافاتهم ، فتدخل تحت بطانته الجدل ، والاستدلال ، والاقناع ، والبرهان والتي تنظم جميعها تحت لواء التداولية ، فالبلاغة الحجاجية متكاملة لا يمكن فصل الحجاج عنها ، لأن الدرس البلاغي القديم درس افهامي أولاً، والافهام شرط بلاغي ، يعلي من وظيفتها التواصلية ، ومن ثم حسن الكلام وقبول الصورة شرط آخر ، فضلاً عن بصرها بالحجة ، ومناسبة الكلام لمقتضى حاله .

الخاتمـــــــــــــة :

كانت وجهات نظر الشاعر أحمد مطر خارجة عن المألوف والسائد ، فهي الى حدّ ما واسعة ، وعريضة الحدود ، تحتمل دلالات غاية في التطرف أحياناً لمقصدية واضحة نابعة من اجراءاتها الحجاجية ، النابعة من تداولية يتعذر علينا تصيّد ما فيها من علائق ارتكازية مهمة ، كان جوهرها الانسان وعلاقته بالمجتمع ، والحرية ، ومن ثم اصبحت صورة الشعرية ونصوصه التهكمية نشيداً للاحرار ، ، فهي نابعة من جوهره ، وهي في حقيقتها حركاتانثربولوجية تعتمد النص طاقة مشحونة بالانفعالات والتأثيرية ، وتوحي بما تحتويه من دون تسويف أو مراوغة ، وجعلته واحداً ممن أسس تشخيصاً تداولياًللابداع في سياق النص .

كان للاستفهام والأمر والنداء دوراً اساسياً في الاقناع بالحجة والبرهان ، فقد وجه الخطاب السياسي الى شرائح المجتمع وفئاته ، لانتظار أدوار من الموافقة للقضايا المطروحة للحوار ، أو الجدال ، نظراً لتأثير هذه الآليات في جذب القرّاء واستمالتهم ، لانجاز الافعال الكلامية والتفاعل معها .

وأما الروابط الحجاجية فلا يقل دورها أهمية ، فهي عوامل تقوية للجملة وانسجام الخطاب والدفع به نحو الاقناع عن طريق استمالة القارئ وتوجيهه نحو غايات المتكلم ، مما جعلها عناصر لغوية تلعب دوراً اساسياً في اتساق النص ، وكان التفاعل واضحاً بين آليات الحجاج ، والعوامل ، والادوات ، فأصبح فيها الحجاج السياسي أكثر اقناعاً وتأثيراً كونها أدوات تواصلية تناقش الافكار وتحاورها معارضة ، أو تأييداً ، مخالفة ، أو موافقة .

وأخيراً حجاج الصورة الذي جاء فيه التركيز على التلازم بين الصورة والحجاج ، كون الاستعارة الحجاجية من أهم الاليات للحجاج البلاغي في الشعر السياسي ، والتي وظفها الشاعر في خدمة القصيدة السياسية ، فهي وسيلة استدلالية بما تنطوي عليه من اثبات واقرار للمعنى وترسيخه في الذهن ، والهدف من الحجج هو اثبات الدعاوى أو إبطالها ، لأجل استجلاب الاستحسان أو الاستهجان من الجمهور لها ، لغرض استنهاضه للفعل ، أو ثنيه عنه ، فيوظف كافة الامكانات اللغوية للمزج بين الاقناع ، والاستمالة ، والتأثير ، ومن ثم فالحجاج عام ، والاستدلال ، والجدل خاص، وكلها تنطوي تحت قاعدة التداولية في الدرس اللساني الحديث .... .

الهوامـــــش :

[1]- لسان العرب : مادة حجج .

[2]-ينظر : منهاج البلغاء وسراج الادباء : ٦٢ ، وينظر : فن الخطابة :٢٢٦ ، ترجمة عبد القادر قنيني ، الدار البيضاء ط١ ، ٢٠٠٨ .

[3]-ينظر : مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، في بحث ((آليات الحجاج في الخطاب القرآني ، الاستفهام انموذجاً ، للاستاذ مفلاح بن عبدالله المركز الجامعي غليزان / الجزائر .

Attach ment www. Ahlahdeeth .com

[4]-الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة ، بنيته واساليبه ، سامية الدريدي : ٢١ ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ط١ ، ٢٠٠٨ .

[5]- ينظر : البلاغة والاصول ، د. محمد مشبال : ٨ ، ١٠ ، افريقيا الشرق ، المغرب ، الدار البيضاء ٢٠٠٧

[6]-ينظر : بلاغة الحجاج في النص الشعري ، دالية الراعي النميري انموذجاً : ٢٥٨ ، د. يوسف محمد عليمات ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٢٩ ، العدد ٢١ ، ٢٠١٣ .

[7]-لسان العرب : مادة فهم .

[8]- الاعمال الشعرية الكاملة ، احمد مطر : ٣٨ .

[9]- ينظر : بلاغة الحجاج في النص الشعري – دالية الراعي النميري – انموذجاً ، د. يوسف محمود عليمات : ٢٥٦ .

[10]- الاعمال الشعرية الكاملة ، احمد مطر : ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

[11]- ينظر : التداولية في التفكير البلاغي ، قالط بن حجي العنزي : ٢١٤ ، وينظر : في تداوليات التأويل ، عبد السلام اسماعيل علوي ، دار الفكر العربي المعاصر ، مركز الأنماء القومي ، بيروت ٢٠٠٩ : ١١٦

[12]- ينظر : آليات الحجاج اللغوية في رسائل الامام علي (ع) ، د. احمد حياوي السعد ، ود. رائد مجيد جبار : ٨٨ ، مجلة العميد ، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات السنة ٣ ، المجلد ٣ ، ع٣ ، ٢٠١٤ .

[13]- ينظر : نظرية الحجاج في اللغة ، د. شكري المبخوت ، ضمن اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، فريق البحث في البلاغة ، والحجاج ، اشراف د. حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية ، تونس ، سلسلة آداب ، مجلد ٣٩ ، ١٩٩٨ : ٣٣٧ .

[14]- ينظر : بلاغة الاقناع ، د. عبد العالي قادا : ١٧٧ .

[15]- ينظر: اللغة والحجاج، ابو بكر العزاوي ، مؤسسة الرحاب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان ٢٠٠٩: ٣٣، ٦٣ وينظر : بحث آليات الحجاج اللغوية في رسائل الامام علي (ع) ، د. احمد حياوي السعد ، د. رائد مجيد جبار : ٨٦.

[16]- ينظر : التداولية في التفكير البلاغي ، قالط بن حجي العنزي : ٢١٢ ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ، ٢٠١٤ .

[17]- الاعمال الشعرية الكاملة : ٨٠ .

[18]- ينظر : آليات الحجاج في الخطاب القرآني ، الاستفهام انموذجاً ، د. مفلاح بن عبدالله :٩ ، المركز الجامعي غليزان / الجزائر ٢٠١٥ .

[19]- الاعمال الشعرية الكاملة : ٣٤٨ .

[20]- التداولية في التفكير البلاغي ، قالط بن حجي العنزي : ١٣٨ .

[21]- ينظر المصدر نفسه .

[22]-ينظر : من الحجاج الى البلاغة الجديدة ، د. جميل حمداوي : ٦١ .

[٢٣]- ينظر : البلاغة والسرد .. جدل التصوير والحجاج في اخبار الجاحظ ، د. محمد مشبال : ١٦٨ ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة عبد المالك السعدي ، تطوان ، المغرب ٢٠١٠ .

[٢٤]- ينظر : بلاغة الاقناع ، دراسة نظرية وتطبيقية ، د. عبد العالي قادا :١٣٩ .

[٢٥]- الاعمال الشعرية الكاملة : ٤٣٥ .

[٢٦]- الاعمال الشعرية الكاملة : ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

[٢٧]- ينظر : من الحجاج الى البلاغة الجديدة ، د. جميل حمداوي : ٨٨ .

[٢٨]- ينظر : المصدر نفسه : ٨٦ .

[٢٩]- الاعمال الشعرية الكاملة : ٤٩٣ .

[٣٠]-ينظر : الاسلوبية والتداولية ، مدخل لتحليل الخطاب ، د. صابر محمود الحباشة : ٨٥ ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، عمان ط١ ، ٢٠١١ .

[٣١]- الاعمال الشعرية الكاملة : ١٢٨ ، ١٢٩ .

[٣٢]-الاعمال الشعرية الكاملة : ١٣٣ وتنظر قصيدة مصائر : ٣٩٥ ، التي أورد فيها الحيوانات وصفاتها الانهزامية ، وعقد مفارقة بينها وبين الانسانية في صورة ساخرة .

[٣٣]- ينظر : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن : ٣١٠-٣١١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ٢٠٠٦ .

[٣٤]- بلاغة الاقناع ، دراسة نظرية وتطبيقية ، د. عبد العالي قادا : ١٢ .

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

المصـــــــــادر والمراجـــــــــع

١- القرآن الكريم .

٢- الاســـلوبية والتداوليـــة ، مـــدخل لتحليـــل الخطـــاب ، د. صـــابر محمـــود الحباشـــة ، عـــالم الكتب الحديث ، اربد ، عمان ، ط١ ، ٢٠١١ .

٣- الاعمال الشعرية الكاملة ، أحمد مطر ، لندن ط٣ ، ٢٠٠٣ .

٤- بلاغـــة الاقنـــاع ، دراســـة نظريـــة وتطبيقيـــة ، د. عبـــد العـــالي قـــادا ، دار كنـــوز المعرفـــة للنشر والتوزيع ، ط١ ، الاردن ٢٠١٦ .

٥- البلاغة والاصول ، د. محمد مشبال ، افريقيا الشرق ، المغرب ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٧ .

٦- التداوليـــة في الـــتفكير البلاغـــي ، قـــالط بـــن حجـــي العنـــزي ، عـــالم الكتـــب الحـــديث ، الأردن ٢٠١٤ .

٧- الحجـــاج في الشـــعر العربـــي القـــديم مـــن الجاهليـــة الى القـــرن الثـــاني للـــهجرة، بنيتـــه وأســـاليبه ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ط١ ، ٢٠٠٨ .

٨- فن الخطابة ، ترجمة عبد القادر قنيني ، الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٨ .

٩- في تـــداولياتالتأويل ، عبـــد الســـلام اسماعيـــل علـــوي ، دار الفكـــر العربـــي المعاصـــر ، مركـــز الانماء القومي ، بيروت ٢٠٠٩ .

١٠- لســـان العـــرب ، جمـــال الـــدين محمـــد بـــن مكـــرم بـــن منظـــور (ت٧١١هـــ)، اعتنـــى بتصـــحيحه : أمـــين محمـــد عبـــد الوهـــاب ، محمـــد الصـــادق العبيـــدي، دار احيـــاء الـــتراث العربـــي ، بـــيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٩ .

١١- اللســـان والميـــزان أو التكـــوثرالعقلي ، د. طـــه عبـــد الـــرحمن ، المركـــز الثقـــافي العربـــي ، الـــدار البيضاء ، المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٦ .

١٢- اللغـــة والحجـــاج ، ابـــو بكـــر العـــزاوي ، مؤسســـة الرحـــاب للطباعـــة والنشـــر والتوزيـــع ، بـــيروت ، لبنان ٢٠٠٩ .

١٣- من الحجاج الى البلاغة الجديدة ، د. جميل حمداوي ، المغرب ، الدار البيضاء ٢٠١٤ .

١٤- منهـــاج البلغـــاء وســـراج الادبـــاء ، صـــنعة ابـــي الحســـن حـــازم القرطـــاجني (ت٦٨٤هـــ) ، تقـــديم محمد الحبيب ابن خوجة ، دار الفكر العربي .

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

الدوريـــــــــــات

١- آليـات الحجـاج اللغويـة في رسـائل الامـام علـي (عليـه السـلام) ، د. أحمـد حيـاوي السـعد ، د. رائـد مجيـد جبـار ، مجلـة العميـد ، مركـز العميـد الـدولي للبحـوث والدراسـات ، السـنة ٣ ، المجلد ٣ ، ع٣ ، ٢٠١٤ .

٢- آليات الحجاج في الخطاب القرآني ، الاستفهام انموذجاً ، مفلاح بن عبدالله ، المركز الجامعي غليزان / الجزائر ٢٠١٥. Attach ment<www.Ahlalh deeth .com

٣- بلاغـة الحجـاج في الـنص الشـعري ، داليـة الراعـي الـنميري انموذجـاً ، د. يوسـف محمـد عليمات ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٢٩ ، العدد ٢١ ، ٢٠١٣ .

٤- البلاغـة والسـرد .. جـدل التصـوير والحجـاج في اخبـار الجـاحظ ، د. محمـد مشـبال ، منشـورات كليـة الآداب والعلـوم الانسـانية ، جامعـة عبـد المالـك السـعدي تطـوان ، المغـرب ٢٠١٠ .

٥- نظريـات الحجـاج في اللغـة ، د. شـكري المبخـوت ، فريـق البحـث في البلاغـة والحجـاج ، إشـراف د. حمـادي صـمود ، جامعـة الآداب والفنـون والعلـوم الانسـانية ، تـونس سلسـلة آداب ، مجلد ٣٩ ، ١٩٩٨ .

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

Abstract

Controversy initialAltd seeking to understand Alodlhalhaggagah and analysis, transfer and sort the right or weak evidence and classification of dialogues and monitoring dialectical mechanism and stop at a critical dialogue as it is the rhetoric mechanism of pilgrims mechanisms to dependence on grooming and influence, and conviction image graphs and methods aesthetic and practice of intellectual persuasion and feeling to accept a glass case on the subject of the speech as pilgrims construction consists of concepts unique to the writer, poet and philosopher and his argument in itself expressive communicative with the other knows the concepts according to the thesis text product and analyze the relationships between concepts Kaalaqat contrast, application and inclusion are transferred from the communicative to the concept of orbital the goal of the pilgrims is persuasion reached by through Joint dialogue with the group or the other by negotiation or investigation or deliberation, or search for information or cash conversation and understanding of the tools used in the construction of a focus on the context of dialogue d and my hair Ahmed Matar in the modern era with great care of researchers and scholars due to functional dimensions and its ability to woo readers audience hijab and the proof and persuasion and even inference as the poet fight the injustice and tyranny of political and social oppression in his time among possible to monitor the deliberative dimensions in texts and use the language and Matndzh of verbal acts because it is the language of communication and discourse within Uttering please do verbal contexts, contain accomplish to thwart such as ordering and question and thanks and congratulations to the carrot and the stick, one of the rhetoric techniques which go beyond reporting to the persuasion of the recipient process in accordance with the purposes of the speaker and the context in which the literary conversational Vetoda to achieve its objectives by using linguistic and non-linguistic signs as required by the context, and takes place researcher.

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)